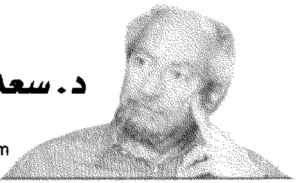

د. سعد الدين إبراهيم

semibrahim@gmail.com

رغم أنه عمل مديراً لمكتب الرئيس الأسبق محمد حسنى مُبارك، لعدة سنوات، إلا أنه لم يستغل المنصب لمكسب شخصى.

مصطفى الفقى نموذجاً للفروسية والوفاء

د. مصطفى الفقى، المُدير الحالى لمكتبة الإسكندرية، وهو منصب رفيع تقلّده الرجل منذ شهور قليلة خلفاً لأول مدير لها، وهو العظيم إسماعيل سراج الدين، الذى جعل من تلك المكتبة مؤسسة جامعة، لا فقط لأهم إنتاج للبَشرية من المعرفة، ولكن أيضاً كمنارة للآداب والفنون، وكمنبر لحرية التفكير والتعبير.

نعم، خلف د. مصطفى الفقى أحد أبناء مصر من عمالقة العمارة الهندسية المعمارية، ومن عمالقة العالم فى مجال التنمية المستدامة، وحصل لتميزه وعطائه على عشرات الجوائز العالمية وشهادات التقدير والدكتوراه الفخرية من كبريات الجامعات فى القارات الست.

ومثل كل الشخصيات المرموقة، لم يسلم إسماعيل سراج الدين من أذى الحاقدين، الذين تسابق بعضهم للنيل منه، وذلك بتوجيه الاتهامات له، وإقامة دعاوى قضائية فى محاكم الإسكندرية تتهمه بالتقصير أو خيانة الأمانة.

وقد فوجئ الرأى العام المصرى بخبر نقلته كل وسائل الإعلام، مفاده توجُّه الدكتور مصطفى الفقى إلى المحكمة التى كانت تنظر تلك القضية للإدلاء بشهادته، التى لم يطلبها منه أحد.

ولكنه قال للقُضاة الذين كانوا ينظرون القضية «إننى أتيت إليكم من تلقاء ضميرى، للإدلاء بشهادتى فى حق سلفى فى مكتبة الإسكندرية، د. إسماعيل سراج الدين، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، وإننى أشهد أن الرجل الذى جعل من مكتبة الإسكندرية مفخرة لمصر وأحيا مجدها التاريخى كإحدى عجائب التاريخ القديم، وهو الذى ترك موقعاً فى البنك الدولى، حيث كان يتقاضى عشرات أمثال راتبه فى مكتبة الإسكندرية، بل هو الرجل الذى سعى من خلال معارفه وعلاقاته الدولية أن يوفر لمكتبة الإسكندرية عشرات الملايين من الدولارات من التبرعات والهبات والوقفيات. رجل بتلك الكفاءات والمراتب الرفيعة، لم يكن ليسقط فى مُخالفة مالية لا تتجاوز حفنة من الجنيهات!».

ورغم أن القضية ما زالت منظورة فى إحدى محاكم الإسكندرية، ولا يمكن التكهن بما ستُسفر عنه التحقيقات، وإن كنت أنا شخصياً مُتأكد من براءته.

إن مصطفى الفقى بتلك الشهادة التطوعية أثبت أنه فارس نبيل، خاصة أن العادة فى البيروقراطية المصرية هى النقد والقدح فى أى مسؤول، بمجرد خروجه من موقعه، وأكثر من ذلك كان بعض فراعنة مصر القديمة، ينسبون إلى أنفسهم معابد أو تماثيل أو مسلات شيّدها أسلافهم!.

ولأن النُبل صفة أصيلة فى مصطفى إلفقى، فإنه انزعج من موقف آخر يخص عملاقاً آخر من أبناء مصر الأبرار، وهو الراحل الدكتور أحمد زويل، صاحب جائزة نوبل فى الكيمياء. وقد زامله تلميذاً فى إحدى مدارس محافظة البحيرة فى صباه، وفخَرَ به مثل كل المصريين وكل العرب، حينما فازَ أحمد زويل بتلك الجائزة الرفيعة.

ولكن كالعادة، بعد التحيّة والفرحة وآيات التكريم والتقريظ التى انهالت على الرجل فى حياته، ورغم ما حاوله هو نفسه من الإسهام فى بناء بعض المؤسسات العلمية فى وطنه مصر، التى كان قد غاب عنها سَنوات طويلة أثناء دراسته العُليا، ثم أثناء تدريسه فى إحدى أعرق الجامعات الأمريكية، وهى معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا. فحاول التبرع من ماله الخاص ومن القيمة المالية للجوائز التى حصل عليها، أن يُشيّد مدينة للعلوم فى مصر ترعى شباب العُلماء المصريين والعرب الذين آمن بهم أحمد زويل، وحرص على أن لا يتسربوا إلى الخارج نتيجة إهمال أو تقصير بلادهم فى حقهم، كما كان قد حدث معه هو نفسه، ومع العديدين من أمثاله، كعالم الفضاء المصرى فاروق الباز، وعالم الكيمياء المصرى مصطفى السيد.

ولكن مشروع أحمد زويل الذى بدأ بداية واعدة فى حياته، أصابه التعثر بعد رحيل الرجل عن عالمنا. وأقبح من ذلك أن سُمعة ذلك العالم الفذ بدأت تطالها أقاويل الحاقدين وحزب أعداء النجاح، وهو الأمر الذى أزعج صديقنا النبيل مصطفى الفقى، فكتب الرجل فى عموده الأسبوعى فى صحيفة الأهرام مُدافعاً عن أحمد زويل. وآية الفروسية هنا هى أن الرجل قد رَحل عن دُنيانا، ولم يعد يملك ما يضر أو ينفع به مصطفى الفقى أو غيره من الأحياء. فاللعنة على الحاقدين وأعداء النجاح، وألف تحية لفارسنا النبيل مصطفى الفقى. ولأبناء الجيل الجديد من شبابنا، لابُد أن يعرفوا أن مصطفى الفقى تخرّج من إحدى أعرق كليات جامعة القاهرة، وهى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وكان أحد نُشطاء منظمة الشباب فى ستينيات وسبعينيات القرن الماضى، والتحق بالسلك الدبلوماسى، حيث خدم بلاده بتميز مرموق فى نيودلهى بالهند، ولندن وبريطانيا، ثم سفيراً لمصر فى النمسا. ولم يُصرفه عمله الدبلوماسى عن استمرار شغفه بالمعرفة وتحصيل العلم، فحصل على الدكتوراه فى إحدى محطاتَ خدمته الدبلوماسية، من جامعة لندن، ولم يكن يبخل أثناء وجوده فى مصر عن التطوع للتدريس، بعض الوقت، فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة، أو فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.

ورغم أنه عمل مديراً لمكتب الرئيس الأسبق محمد حسنى مُبارك، لعدة سنوات، إلا أنه لم يستغل المنصب لمكسب شخصى أثناء وجود مُبارك على رأس الدولة، كما لم ينقلب عليه الشعب حينما ثار على نظام مُبارك.

وعلى الله قصد السبيل.